

استدعاء الشخصيات الساسانية في شعر البحري

فرامرز ميرزاي^١، يعقوب محمدى فر^٢، مريم رحمتي تر كاشوند^٣

تاريخ الوصول: ١٤٣٠/١/١٤

تاريخ القبول: ١٤٣١/٣/١٩

لا يجدر بنا أن نحسب التاريخ مجرد حوادث وقعت ليدون في كتاب ما للقراءة و التسلية و التفرج، بل هو جزء من شخصية الفرد الجماعية أو ذاكرة الأمة التي تُعدّ أحد مكونات شخصية الإنسان الأساسية، و التي تجعل الفرد يفتخر بماضيه الجيد و يتحسّر على ما وقع من حوادث مؤلمة فيما مضى من الزمان. بناءً على هذا، فليس التاريخ صورة جامدة ثابتة لأية فترة من الماضي بل إنها قابلة للتجدد وصالحة للتكرار فعلى الشاعر أن يعرض التاريخ عرضاً فنياً ليحوّله بطريقة غريبة إلى لون من ألوان الفن، هذا ما نجده عند البحري الشاعر العباسي الكبير. إن موقفه الواعي و المتحضر في تلقيه للحضارة الساسانية و شخصياتها التاريخية يدهش القارئ لأنه لم يكن شاعراً فارسي الأصل بل اشتهر بأنه عربي محافظ لتقاليد شعر العرب القديم، لكن ديوانه مليء بما ينم عن حبه لحضارة الفرس الراقية، و شخصياتها البناءة. إنّه استدعى الملوك الساسانيين في شعره و نظر إليهم نظرة إعجاب فمجدهم و وصفهم وصفاً كأنهم من آباءه من العرب. ممن فتن البحري بهم من هذه الشخصيات التاريخية: شخصية «أردشير» و «كسرى أنوشروان» و «كسرى أبرويز» و «بهرام جور» و «بهرام شوبين» و «قباد» و «يزدجرد» و «هرمز». ليس ذكر هذه الشخصيات التاريخية في شعر البحري مجرد أسماء تاريخية فحسب بل هي استدعاءات تاريخية لشخصيات أصبحت رموزاً لحضارة راقية لقوم ذوي مجد، ساعدوا أجداد الشاعر العربي في حرب «أرياط»، بل أكثر من ذلك أنهم قوم نبلاء و على الإنسان أن يحبهم مهما كان جنسهم.

الكلمات الرئيسية: البحري، استدعاء الشخصية، الحضارة الساسانية.

١. الأستاذ المشارك في فرع اللغة العربية و آدابها بجامعة بوعلی سینا mirzaeifaramarz@yahoo.com

٢. الأستاذ المشارك في علم الآثار بجامعة بوعلی سینا

٣. طالبة الدكتوراه في اللغة العربية و آدابها بجامعة بوعلی سینا

مقدمة

كادت محنة الشعراء المحدثين في العصر العباسي الأول تشبه محنة الشعراء الحدائين في عصرنا الحاضر، لعل في كلام ابن طباطبا العلوي إشارة إلى مثل هذه المحنة: « و المحنة على شعراء زماننا في أشعارهم أشدّ منها على من كان قبلهم لأنهم قد سبقوا إلى كل معنى بديع و لفظ فصيح و حليلة لطيفة و خلاصة ساحرة. فان أتوا بما يقصر عن معاني أولئك، ولا يربّي عليها لم يتلق بالقبول و كان كالمطروح المملول» (عيار الشعر، ١٩٨٢، ص ١٥). يتضح من هذا النص أنّ المولدين في تجديدهم الشعري واجهوا مشقة حين التمسوا المعاني الجديدة لأنهم كانوا يحاولون إبداع ما كان أكثر جذابية و سحرًا من الشعر القديم.

مما لجأ إليه الشعراء المولدون في العصر العباسي لإنتاج المعاني الجديدة و الأخيصة البديعة التوجه إلى المعالم الحضارية التي وصلت إليهم بسبب امتزاجهم بالحضارات الأخرى، خاصة الفارسية، فامتزجت ثقافة اللغتين (الفارسية و العربية) في نفوسهم امتزاجاً قوياً، « و تولدت عن هذا المزاج روح جديدة أعطت دفعة قوية لحركة التجديد في الشعر العباسي و كان شعرهم صدىً لهذه الحركة و يعبر أصدق تعبير عن اتجاهاتها و خصائصها و مراميها» (درويش العربي، ١٩٨٩، ص ١٢). فللمعالم الحضارية الساسانية و رموزها خاصة أسماء أكاسرة الفرس، الحضور القوي في شعرهم، و ساعد ذلك الوزراء الإيرانية في المناصب العليا للدولة العباسية.

سمّي هذا الحضور الشعري للرموز القديمة في النقد الحديث بـ«الإستدعاءات التراثية» و اذا كانت الرموز شخصيات تاريخية سمّيت بـ«استدعاء الشخصيات». عني النقاد بهذه الإستدعاءات ضمن ظاهرة «التناس»^١ كآلة

فنية مؤثرة لغناء الشعر و توليد الصور البديعة و إبراز ما في الشعر من أفكار و هواجس نفسانية و صلته بالنصوص الأخرى أو التراث، و عدوه مقدرة فنية للشاعر و ميزة أساسية لشعره. و من أولئك الشعراء العباسيين الذين اهتموا بمظاهر ساسانية في شعرهم، البحري، فديوانه سجل لأسماء الملوك الساسانيين و كان يحبّ عظمتهم و شرفهم (آذر نوش، ١٣٨١، ص ٣٧٧). يعزو شوقي ضيف اهتمام البحري هذا بالأجناد الفارسية إلى ضعف في عصبية القبيلة قائلاً: «لقد كان إحساسه بعرويته ضعيفاً. كأنما لم يكن يستشعر شيئاً من الإحساس العميق بالأجناد العربية في مقابل الأجناد الفارسية» (ضيف، العصر العباسي الثاني، ١٩٧٥، ص ٢٩٣). لكن لدينا في شعر البحري ما يدل على أنه كان ذا ثقافة متحضرة، و حبه هذا للرموز الساسانية ناتج عن اطلاعه الواسع على حضارة الفرس و إدراك قيمتها. هذا ما نحاول أن نثبت في هذا المقال ضمن نظرية «الإستدعاء» النقدية.

١- الدراسات السابقة

هناك دراسات كثيرة حول التبادل اللغوي و الأدبي بين الفارسية و العربية بصورة عامة و البحري و ظاهرة استدعاء الشخصيات بصورة خاصة، منها - على سبيل المثال و لا الحصر- كتاب «طُرُقُ تسرُّب الفارسية في الثقافة الجاهلية و لغتها» للدكتور آذرتاش آذرنوش و مقالة له بعنوان «إيران الساسانية في أشعار عدى بن زيد»، و أخرى له حول البحري و حياته، المنشورة في « مركز الموسوعة الإسلامية الكبيرة» المجلد الحادي عشر. ففي المقالة الاخيرة ذكر المؤلف كتباً كثيرة حول البحري مشيراً إلى أن أكثرها « لا تحتوي إلا على أمور عامة تتعلق بحياة الشاعر و شعره » (آذر نوش، ١٣٨١، ص ٣٧٧) و منها كتاب «مرايا للإلتقاء و الإرتقاء بين

ص ١٦٤)، و بتوظيفه لبعض مقومات التراث « يكون قد توسّل إليه بأقوى الوسائل تأثيراً عليه، وكلّ معطى من معطيات التراث يثير إحياءات و دلالات غنية مرتبطة بوجودان السامع تلقائياً» (عشري زايد، ٢٠٠٦، ص ١٦) يؤكد ذلك، استدعاء الشاعر النص التراثي و التاريخي و الأسطوري، لكي يستلهم أهم علاماته و إشارات و دلالاته التاريخية و الإجتماعية. (ياسين، ٢٠٠٩) فالشاعر يرتبط بهذه الرموز التاريخية ليحيلها إلى صورة أدبية دالة على ما في ضميره من أحاسيس و أفكار لأن هذه المعطيات التراثية تربط الشاعر بقراءه، لما لها من حضور حي و دائم في وجدانهم.

إن النظرة الفاحصة إلى استحضار الشخصية في النص الشعري تؤكد أن ثمة فارقاً بين أن يكون استدعاء الشخصية لذاتها و بين أن يكون استدعاؤها في إطار رؤية فنية. فالأول «هو الذي يلجأ إلى التراث معبراً عنه و أما الثاني فهو الذي يلجأ إليه للتعبير به» (عشري زايد، ٢٠٠٦، ص ٧٥) قد يكون الإسدعاء لمحاظبة الشخصية لبيان تجربتها التراثية الشاملة الغنية، فتأخذ هذه الشخصية مساحات واسعة من النص. وقد يكون محكياً عن الشخصية التراثية، فتكتفي بالصمت و الإستماع لما يقوله الشاعر، دون أن تبدي أية مشاركة أو معارضة أو تدخّل في بناء القصيدة، و تكون الشخصية في ضوء ذلك شخصية صامتة و مستمعة فحسب، و يكون الإسدعاء لرد تجربة هذه الشخصية، أو قد يكون لمخاطبتها و للإستشهاد بتجربتها في آن واحد (السليمان، ٢٠٠٧، العدد الثالث). فهذه المستويات لإسدعاء الشخصيات ترتبط ارتباطاً مباشراً بقوانين التناسل الثلاثة: «الاجترار»، و «الامتصاص» و «الحوار»؛ ففي القانون الأول يكون النص الحاضر استمراراً للنص الغائب، و يتلخّص عمل المؤلف هنا في أن يقدّم المعنى نفسه دون أى تغيير يذكر، و

الأديبين العربي و الفارسي» للدكتور حسين جمعه الموجود في الموقع الايترنيتي لاتحاد كتاب العرب.^٢ و مقالات عديدة للدكتور إحسان عباس نشرت في كتاب «بحوث و دراسات في الأدب و التاريخ»، و كتاب «إيوان كسرى من وجهة نظر الشعراء العربى و الفارسى» للدكتور أمير محمود أنوار، و كتاب «استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر» لعليّ عشري زايد، و مقالة له بعنوان «توظيف التراث في شعرنا المعاصر» المنشورة في مجلة فصول النقدية، العدد الأول أكتوبر ١٩٨٠، و مقالة استدعاء التراث في ادب زكريا تامر لصلاح الدين عبيدي و نشرت في مجلة العلوم الإنسانية الدولية العدد ٣/١٦ و اخرى عنوانها قناع العلاج في الشعر العربي المعاصر لكبرى روشنفكر و أكرم رخشنده نيا نشرت في المجلة نفسها العدد ٣/١٧.

و أما حول استحضار الشخصيات الساسانية، خاصة الملوك الساسانيين، في شعر البحترى فلم نجد بحثاً يذكر و إن كانت هناك بحوث متناثرة حول القصيدة السينية ذكرت فيها إعجاب الشاعر ببنى ساسان و آثارهم.

٢- ظاهرة استدعاء الشخصيات

إن ظاهرة استدعاء الشخصيات التاريخية في الشعر، ظاهرة نقدية جديدة عني بها النقاد ضمن ظاهرة «التناسل» النقدية حيث أصبحت سمة بارزة لتحليل الخطاب الشعري (ميرزايي، ١٣٨٤، ص ٦٢)، لأن بروز ظاهرة التناسل في قصائد الإسدعاء عموماً، يعدّ من أهم خصائصها (ياسين، ٢٠٠٩) و الشاعر باستدعائه الشخصيات التراثية يعمد إلى «تجربة غنية أصيلة و شاملة» (عشري زايد، ٢٠٠٦، ص ١٧) تمكنه- في الوقت ذاته- من الخروج عن «نطاق ذاتيته المغلقة إلى تجربة الإنسان في هذا العصر و في كلّ العصور» (حاوي، ١٩٦٢،

للتكرار « فدلالة البطولة في قائد معين، أو دلالة النصر في كسب معركة معينة تظل - بعد انتهاء الوجود الواقعي لذلك القائد أو تلك المعركة- باقية، وصالحة لأن تتكرر من خلال مواقف جديدة و أحداث جديدة (عشري زايد، ٢٠٠٦، ص ١٢٠). فعلى الشاعر و القارئ معاً أن يتفاعلا هذه الحوادث و الشخصيات تفاعلاً حياً لأنهما مع كونها تجربة تاريخية، تعد تجربة عصرية صالحة للتكرار.

إنَّ الشاعر حين يستدعي في شعره الخلفاء و الأمراء و القواد الذين يمثلون الوجه المضيء للتاريخ، فهو يدخل بهذا الإستدعاء تلك المنطقة ذات الدلالة الخطيرة و هي أن هذه الشخصيات تعد جزءاً هاماً من مكونات شخصيته الثقافية، و هذا ما «يجعل النص ذا قيمة توثيقية، يكتسب بحضورها دليلاً محكماً، و برهاناً مفحماً على كبرياء الأمة التليد و حاضرها المجيد» (شريح، ٢٠٠٨، العدد ١٠٨) فالشاعر بخياله المخلق في الفضاء الماضي يصنع حاضراً جديداً متصلاً بأصوله، غنياً بالتجربة، متطابقاً مع شخصية الشاعر لأن «الشخصية التراثية المستدعاة، تعكس شخصية الشاعر و هما في بوتقة واحدة، شخصية موحدة في النص» (السليمان، ٢٠٠٧، العدد الثالث). فرأى الشاعر أن تجربة الشخصية التاريخية مرآة لتجربته و بيان لمعاناته و ميوله فأعجبه بما إعجاب.

٥- الأدب العباسي و حضارة الفرس

في الشعر الجاهلي ما يدل على أن بعض الشعراء الجاهليين ذكروا أسماء الملوك الساسانيين و عاصمتهم في أشعارهم كعنترة بن شدّاد العبسي في قصيدته التي مدح بها كسرى أنوشروان بهذا المطلع:

يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الَّذِي رَاحَتْهُ

قَامَتْ مَقَامَ الْغَيْثِ فِي أَرْمَانِهِ

في قانون الإمتصاص قبول للنص الغائب و تقديس له و إعادة كتابته بطريقة لا تمسّ جوهره، و لا يعني هذا سوى مهادنة للنص الغائب و الدفاع عنه و تحقيق سيرورته التاريخية، أما قانون الحوار فهو نقد للنص الغائب، و تحريب لكل مفاهيمه المتخلفة، و تفجير له، و إفراغه من بنياته المثالية، و هو لا يقبل المهادنة، فهو أعلى درجات التناص و أرقاها (موسى، ٢٠٠٠م، ص ٥٥) و كذلك الإستدعاء قد يكون اجتراراً أي وظفت الشخصية في النص استمراراً للنص التاريخي دون أي تغيير و قد يكون امتصاصاً له أي وظفت الشخصية موازياً له مع تغيير خاص للدفاع عن الشخصية التاريخية، و قد يكون حواراً أي وظفت خلافاً لما في النص الغائب و استخدمه الشاعر استخداماً جديداً.

٤- خطورة الشخصيات التاريخية

منذ القدم كان التاريخ مصدراً هاماً استلهم الشعراء منه للفخر به أو الكشف عن همومه و معاناته و هذا يعني « أن الماضي يعيش في الحاضر، و يرتبط معه بعلاقة جدلية تعتمد على التأثير و التآثر» (شريح، ٢٠٠٨، العدد ١٠٨). لا يليق بنا أن نحسب التاريخ مجرد حوادث وقعت ليجمع يوماً ما في كتاب حتى يقرأ تسلية و تفرجاً، بل هو جزء من شخصية الفرد الجماعية التي تُعدّ أحد مكونات شخصية الإنسان الأساسية، فهذا ما يُسمّى بـ «العقل الجماعي» أو «ذاكرة الأمة» التي تجعل الفرد يفتخر بماضيه المجيد و يتحسر على ما وقع من حوادث مؤلمة فيما مضى من الزمان.

إذن لا بد لنا أن لا نعتبر الحوادث التاريخية وصفاً جامداً بل « إنّه إدراك الإنسان المعاصر أو حديث لها، فليست هناك إذن صورة جامدة ثابتة لأية فترة من هذا الماضي» (ناصر، ص ٢٠٦-٢٠٥) و إنما قابلة للتجدد و صالحة

يَا قِبَلَةَ الْقُصَادِ يَا تاجَ الْعُلا

يَا بَدْرَ هَذَا الْعَصْرِ فِي كِيَوَانِهِ

يَا مُحَجَّلاً نَوَى السَّمَاءِ بِجُودِهِ

يَا مُنْقَذَ الْمَحْزُونِ مِنْ أَحْزَانِهِ

يَا سَاكِنِينَ دِيَارَ عَبَسٍ إِيَّانِي

لَأَقِيْتُ مِنْ كَسْرَى وَمِنْ إِحْسَانِهِ

مَا لَيْسَ يُوصَفُ أَوْ يُقَدَّرُ أَوْ يَفِي

أَوْصَافُهُ أَحَدٌ بِوَصْفِ لِسَانِهِ

(ديوان عنتره بن شداد، ٢٠٠٥، ص ٢٢٣)

لكن هذا بالنسبة لما وصل إلينا من الشعر العباسي في ذكر مآثر الشعب الفارسي لشيء قليل جداً، لأن دولة بني العباس قامت بالدرجة الأولى، على مساعدة الفرس كأن رجال العصر العباسي، لم يجدوا من العرب أنصاراً أو أعواناً مثلما وجدوا من الفرس والأعاجم، و لما نقل العباسيون حاضرة الخلافة إلى العراق غلبت عليهم الحضارة الساسانية وهي تبدو واضحة في بناء بغداد حيث أقامها المنصور مستديرة على شاكلة طيسيفون المعروفة باسم المدائن حاضرة الساسانيين (ايوب، ١٩٩٠، ص ١٠٢)، فاندمجوا بهم و بحضارتهم خلقاً و فكراً، و خيالاً و لغةً حيث اصطبغت الدولة العباسية بالصبغة الفارسية، و بسبب امتزاجهم بالثقافات المختلفة اتسعت دائرة اللغة بعد نقل كثير من العلوم و مظاهر الحضارة عن الفارسية و الهندية و اليونانية، في المصطلحات العلمية و أيضاً الألفاظ الإدارية و السياسية والإقتصادية و غيرها، و رقت ألفاظ اللغة بسبب التحضر و الترف، فأصبح العرب يؤثرون الكلمات السهلة، و الأسلوب الواضح (دلاء، ٢٠٠٧). ولكن تأثير الثقافة الفارسية على الشعر كان أشد و أقوى إذ كان كثير من الشعراء يتقنون اللغة الفهلوية (ايوب، ١٩٩٠، ص ١٢٠) و

كانت خطب بعض المجالس تُلقى باللغتين كما ينقل الجاحظ في (البيان و التبيين) ذاكراً أنه كانت لموسى الأسواري حلقة يجلس العرب فيها على اليمين و الفرس على الشمال، فكان يقرأ آية من القرآن فيفسرها للعرب بالعربية ثم يلتفت إلى الفرس فيفسرها لهم بالفارسية. (الجاحظ، ١٩٩٢، ص ٢٩٣)

في العصر العباسي الأول انتقلت النظم الساسانية بحذافيرها في كل شؤون الحكم كأنما أصبح الخليفة العباسي ملكاً ساسانياً فهو يحكم حكماً مطلقاً و هو حكم ينتقل بالوراثة و يطبعه الدين كما كان يطبع الحكم الساساني. إذ كان الساسانيون يعدون أنفسهم رؤساء للدين و حماة له (ضيف، العصر العباسي الاول، ١٩٨٢، ص ٢٠). و كانت المظاهر العديدة من الثقافة الفارسية أخذت طريقها إلى الحياة اليومية و الثقافية في العصر العباسي منها أخبار الأكاسرة و الأعياد الفارسية المختلفة، مما أدى إلى شيوع ألفاظ ككسرى و أردشير و أنوشروان و قباد و... في الشعر و الأدب و هذا يدل على اطلاع الشعراء على الحضارة الفارسية.

٦- البحري و شغفه بالحضارة الساسانية

ولد أبو عبادة الوليد بن عبيد بن يحيى البحري، سنة ٢٠٤ هـ.ق بمنبج بجوار حلب، من أب طائي و أم شيبانية، و قد نشأ نشأته الأولى في منبج و باديتها، فتأصلت فيه ملكة الأعراب، و جرت على لسانه أساليبهم، و صفا خياله صفاء سمائهم، ثم حدث له أن اتصل في حمص بأبي تمام شيخ الصناعة الشعرية، و أخذ عنه طريقته في البديع و الزخرفة، و احتك بالحضارة العباسية و عمرانها، و كان له من جرأ ذلك شخصية عجيبة التكوين: شخصية بداوة في

تلك الأعاجم تُنميكم أوائلها
 إلى الذوائب منها والعرايين
 فخرُ الدهاقين مأثورٌ وفخرُكم
 من قبل دهن آباء الدهاقين
 إني أعدكم رهطي واجعلكم
 أحق بالصون من عرضي و من ديني
 (ديوان البحري، ج ٤، ص ٢٢٥٠)
 من يتصفح ديوان البحري يجد أبياتاً كثيرة تُبنى عن
 شغف الشاعر بالحضارة الساسانية منها تلك الأبيات التي
 يمدح بها «إبراهيم بن الحسن بن السهل»^٣ مشيراً إلى بني
 ساسان من الفرس الذين أسسوا المملكة الساسانية:
 آل سهل أنتم غيوث «بني ساسان»
 : جوداً ونجدةً وحلوم
 (ديوان البحري، ج ٤، ص ٢٠٥٨)
 أو في الأبيات التي يمدح بها إبراهيم بن المدبر^٤ بحيث
 يرى آل ساسان خير أرومة ينتسب بها:
 هي أكرومة نمت من بني ساسان
 في خير منصب وأروم
 (المصدر نفسه، ص ٢١٢٤)
 بلغ شغف البحري بالحضارة الفارسية نهايته حين يمدح
 صديقه طالباً منه أن يدع التهشم ويعيش عيشة الفرس:
 ساعد، وإن كنت امرأة من «هاشم»،
 ودع التهشم يومنا وتفرس
 (ديوان البحري، ج ٢، ص ١١٨٠)

٧- استدعاء الشخصيات الساسانية

أعجب البحري أكاسرة الساسانيين فاستدعاهم في شعره
 للحصول على معطيائهم التراثية، كأنه أراد أن يقدم نماذج

شخصية حضارة، و صفاء بدوي في تعقيد
 حضاري. (الفاخوري، ١٣٨٠، ص ٧٤٢)
 وُصف البحري بأنه «أعرابي الشعر مطبوع و على
 مذهب الأوائل و ما فارق عمود الشعر المعروف». (الأمدي، ١٩٧٢، ص ٤) مما يوهم أنه لم يكن مثقفاً
 متحضراً فرفض شوفي ضيف قول الأمدي و يتهمه
 بالإسراف حين أصدر حكمه على البحري و زعم أنه
 على مذهب الأوائل و أنه ما فارق عمود الشعر المعروف؛
 ذلك لأن الشاعر اتصل بالحاضرة و غير كنيته، فبعد أن كان
 يكنى أبا عبادة، تكنى أبا الحسن، ليزيل العنجهية الأعرابية و
 يساوي في مذهبه أهل الحاضرة و يتقرب بهذه الكنية إلى
 أهل النباهة و الكتاب من الشيعة، و قد حاول البحري أن
 يخرج نماذج تناسب الذوق الحضري (ضيف، الفن و
 مذاهبه في الشعر العربي، ص ١٩٢) فضلاً عن هذا، ففي
 شعره ما يدل على أنه كان شاعراً متحضراً يجب الأرقام
 المتحضرة، فكثرة مدحه لقوم الفرس لدال على ذلك.
 لهذا كان البحري منسجماً مع طبيعة العصر الذي يعيش
 فيه فهو يشهد علو شأن الموالى و توليهم المناصب العالية في
 البلاط العباسي فلا بد إذن من الاعتراف بما لهم من سيادة و
 مدحهم بما يرتضون بل الإشادة بأصولهم الفارسية (درويش
 العربي، ١٩٨٩، ص ٢٢٥) ثم إنه كأكثر شعراء العصر
 العباسي كان ذا اطلاع واسع على ماضي حضارة الفرس و
 الروم... خاصة الحضارة الساسانية و أكاسرتها و سراقها، و
 هذا ما دفعه إلى أن يصرح بعظمة حضارتهم، لذلك نجد و
 هو يمدح الرؤساء الفرس يشير إلى علو شأن أجدادهم من
 الأكاسرة بل إنه لا يجد حرجاً حين يعدهم من رهطه، و إنهم
 أحق بالصون من عرضه و دينه كما في قوله و هو يمدح ابن
 حمدون التميمي:

(بيروني، ١٣٢١، ص ١٥٤). لفتت أخبار «أردشير» مؤسس الدولة الساسانية أنظار الشعراء و أدباء العرب. و سبب شهرته يرجع إلى عهده الذي كتبه للملوك الذين جاؤوا بعده. ترجم هذا العهد إلى العربية و عُنيَ به الحكام و الأمراء و هذا ما جعل طبقة الكتاب و الشعراء و الأدباء العبّاسيين يهتمّون بهذا الملك و وصيته الجامعة. (عباس، ٢٠٠٠، ج ١، ص ٥٩).

استحضر البحترى أردشير في ديوانه خمس مرات (ج ٢ ص ٨٨٦، ١٩٠٢، ١٩٦٦، ج ٣ ص ١٣٧٤، ج ٤ ص ٢١٩٩) ذاكراً أياه أحسن الذكر مشيراً إلى سيرته الحسنة و مساهمته في بناء الدولة القومية الموحدة، ففي قصيدة مدح فيها إبراهيم بن حسن بن سهل، قال:

وَرَدَ الْعِرَاقَ وَ مُلْكُهَا أَيْدِي سَبَا

فاستارَ سيرةَ أردشِيرَ قَدِيمًا

جَمَعَ الْقُلُوبَ وَ كَانَ كُلُّ بَنِي أَبِي

عَرَبِيًّا لِشَحْنَاءِ الْقُلُوبِ وَ رُومًا

(ديوان البحترى، ج ٣، ص ١٩٦٦)

و استدعاه في قصيدة أخرى مفتخرًا به مادحًا «الحسن بن سهل»:

يَا «بْنَ سَهْلٍ» وَ أَنْتَ غَيْرُ مُفِيقٍ

مِنْ بِنَاءِ الْعِلْيَاءِ أُخْرَى الدُّهُورِ

إِنَّ لِلْمَهْرَجَانِ حَقًّا عَلَيَّ كُلِّ

كَبِيرٍ مِنْ «فَارِسٍ» وَ صَغِيرٍ

عِيدُ آبَائِكَ الْمُلُوكِ ذَوِي التَّيِّبِ

جَانِ، أَهْلِ النَّهْيِ، وَ أَهْلِ الْخَيْرِ

مِنْ «قُبَادَ» وَ «يَزْدَجَرْدَ» وَ «فِيرُو

زَ» وَ «كَسْرَى» وَ قَبْلَهُمْ «أردشير»

(ديوان البحترى، ٢/٨٨٦)

من أصحاب الحضارة لأمته حتى يمكنهم تتبع آداب هذه الشخصيات و سيرتهم و التنقّف بثقافتهم العريقة و الأصيلة، لأن الحضارة الساسانية و عظمتهم مدين لهم و باستدعائه هذه الشخصيات التاريخية أضفى بعداً تاريخياً جديداً لشعره لم يكن معهوداً في عصره إلا لقليل من الشعراء الذين وصفهم الناقدون بأنهم المولدون أو المحدثون.

إن سينية البحترى المشهورة لخير دليل على تماحي الشاعر بالحضارة الساسانية و انفعاله أمامها حيث أصبح الإيوان مصدر إيجاء للقصيدة. فقد أقبل إليه الشاعر راكباً جملة عندما حضرته الهموم فأراد أن يتسلى و يبحث عن عزاء له بعد أن زعزعه الدهر و نكبه. إذن نجد الشاعر يفسح المجال في قصيدته «للأصوات التي تتجاوب معه و التي مرّت ذات يوم بنفس التجربة وعانتها كما عاناها الشاعر نفسه» (عز الدين، ١٩٦٧، ص ٣٠٧):

حَضَرَتْ رَحْلِي الْهُمُومُ فَوَجَّهْتُ

سُتُّ إِلَى أَيْبُضِ الْمَدَائِنِ عَنَسِي

أَتَسَلَّى عَنِ الْخُطُوطِ وَ آسَى

لِمَحَلِّ مِنْ آلِ سَاسَانَ دَرَسِ

(ديوان البحترى، ج ٢، ص ١١٥٢)

١-٧- أردشير

يحتلُّ أردشير بن بابك بن ساسان في تاريخ الفرس مقاماً هاماً رفيعاً. فهو الذي قضى على حكم ملوك الطوائف، و أعاد للإمبراطورية الفارسية - بعد توحيد أجزائها و توسيع رقعتها - مجدّها القديم الذي كان لها في أيام «كورش» و «دارا» الكبير. كان مؤسس الدولة الساسانية التي ظلَّ ملوكها يتولّون الحكم حتى ظهور الإسلام و من أحل الأعمال الهامة التي قام بها أردشير عُرف بلقب «الجامع».

أصبح رمزاً للحب المتبادل بين الناس و الخليفة. إضافة إلى ذلك، كان العباسيون على صلة وثيقة بالإيرانيين لأنهم هم الذين نصرهم بجيشهم على الأمويين فجعل العباسيون يحدون حذو الإيرانيين في كثير من المجالات الثقافية لاسيما العلمية و منها العيدين: النيروز و المهرجان، فالبلاد العباسي كان يحتفل في كلا اليومين احتفالاً كاملاً، أما الخلفاء و الولاة فكانوا يجلسون لتقبل التهاني و استماع مدائح الشعراء، و كان عبدالله بن طاهر يفرق كل ما في خزائنه من ملابس على سائر الناس كما كان يفعل الأكاصرة في المهرجان.(العباسي، ٢٠٠٦)

فقد استدعى شاعر العرب شخصية أردشير ليعبر من خلاله عن الصفات العليا، و المجد في أيام الرّخاء و أيام البلاء...إِنَّه لبيان هذا المجد و العلو يلتجأ إلى عظمة الملوك الساسانيين و يذكر «أردشير» و «قباد» و «أنوشروان»، و يعتقد بأن الممدوح قد ورث العزة منهم. فهم عند الشاعر نماذج مثلى للمجد و العظمة:

يَا أَبَا الْقَاسِمِ الْمُقَسَّمِ فِي الْمَجْدِ

سَدِ لَيَوْمِ التَّيْدِي وَ يَوْمِ الطَّعَانِ

قَدْ وَرَثَتِ الْعُلَيَاءُ عَنْ «أردشير»

وَ «قباد» وَ عَنْ «أنوشروان»

(ديوان البحري، ٤ / ٢١٩١)

٢-٧- كسرى أنوشروان و كسرى أبرويز

كان «كسرى أنوشروان» - الذي يُدعى عند الإيرانيين بـ«خسروالأول» و الموصوف عندهم بالعاذل - وصل إلى الحكم عام ٥٣١ م و خاض الحروب مع الروم حيث هزمهم سنة ٥٤٠ م و سيطر على «أنطاكية» و أسر كل من سكن فيها و أجبرهم على السكنة في مدينة قرب المدائن تُدعى

إنَّ الشاعر بهذه الأبيات يريد أن ينسب المجد و العلياء إلى ممدوحه فيذكر عظمة آباءه الفرس مشيراً إلى عيد«المهرجان» من سنن الملوك الساسانيين الذي كان يقع في السادسة عشر من شهر مهر و كان ملوك الفرس يتوجون في هذا اليوم و يعم الفرع البلد بأجمعه.(كريستن سن، ١٣٦٨، ص ٢٥٢)

لابد و أن نلاحظ أن الشخصيات التاريخية التي يعنى بها الشعراء هي تلك التي ارتبطت بقضايا معينة، و أصبحت في التراث رمزاً لتلك القضايا و عناوين عليها، سواء كانت تلك القضايا سياسية أو اجتماعية أو فكرية، أو حضارية، أو عاطفية، أو فنية. و لقد كان الشعراء يتناولون بعض جوانب حياة الشخصية التراثية، لتصلح عنواناً على القضية التي يريدون أن يحملوها عليها» (شريح، ٢٠٠٨، العدد ١٠٨). بالطبع يختار الشاعر من شخصيات التاريخ ما يوافق طبيعة الأفكار و القضايا و الهموم التي يريد أن ينقلها إلى القارئ. فإنَّ البحري يصف ملوك الفرس بالعقل و الرأي الصائب و يصفهم بأنهم أهل الخير و البركة. و في البيت الأخير يذكرهم حسب الترتيب و يذكر «أردشير» قبلهم بوصفه مؤسس الدولة الساسانية. و يذكر اسم «أردشير» في الأبيات التي قالها في المتوكل الخليفة العباسي:

إِنَّ يَوْمَ النَّيروزِ عَادَ إِلَيَّ الْعَهْدُ

سَدِ الَّذِي كَانَ قَدْ سَنَّهُ «أردشير»

(ديوان البحري، ٢ / ٩٠٢)

هكذا أصبح الملك «أردشير» مثلاً للعظمة التي أعادها ممدوح الشاعر إلى عيد «النّيروز» الذي سنّه هذا الملك نفسه. ثم إنَّ النيروز عيد في مطلع السنة الفارسية، و إنَّ الملوك الساسانيين كانوا يعطون رعاياهم الهدايا و بهذا

«الرومية». وصلت الدولة الساسانية في عهد «أنوشروان» ذروة ازدهارها. و كان سلطاناً حكيماً عادلاً، فمات سنة ٥٧٩م. (كريستن سن، ١٣٦٨، ٥٧٤-٤٨٥). و أما «كسري أبرويز» أو «خسرو الثاني» فوصل إلى الحكم سنة ٥٩٠م. في أيام حكمه كانت العلاقات بين إيران و الروم علاقات ودية سادت لمدة ١١ سنة.

إن البحترى استحضر كسرى أنوشروان في ديوانه أكثر من ١٨ مرة مما يدل على حب البحترى له، فمن أشهر قصائده سينيته التي ذكر فيها حادثة تاريخية لاتنسى أبداً، و هي استنجد ملك اليمن سيف بن ذي يزن (ت ٥٠ هـ.ق / ٥٧٢م) بكسرى أنوشروان (ت سنة ١ هـ - ق. ٦٢١م) لطرده الأحباش، فأسرع إلى تلبية رغبته و ظل لهذه الحادثة التاريخية أصدأوها في الحياة والأدب (جمعه، ٢٠٠٦)؛ أشار إليها البحترى:

أيدوا ملكننا و شدوا قواه

بكمأة تحت السنور حُمسٍ

و أعانوا على كتائب أريا

ط بطعن على النحور و دغسٍ

(ديوان البحترى، ٢ / ١١٥٦)

و في القصيدة نفسها إشارة إلى «صورة أنطاكية» فيتوقف على لقطة من هذه اللوحة و ما يلبث أن يركز على صورة كسرى أنوشروان:

وإذا ما رأيت صورة أنطا

كيفة إرتعت بين روم و فرسٍ

و المنايا موائل و أنوشر

وإن يزجي الصفوف تحت الدرفس

في اخضرار من اللباس على أفس

فر يختال في صبيغة ورس

و توهمت أن كسرى أبرويز

سز معاطي و البلهد أنسي

(ديوان البحترى، ٢ / ١١٥٦ - ١١٥٨)

يحاول الشاعر في الأبيات الوصفية أن يوهنا بحقيقة التفاصيل: فهذا قائدهم أنوشروان يقود الصفوف تحت الدرفس - العلم المقدس - و بالطبع فإن التركيز على هذا العلم دلالة تتجاوب مع نفسية الشاعر الذي يستجلى عظمة الفرس بالذات (مواسي، ٢٠٠٨، ص ١٦٦) هذا النقل الوجداني لما يراه الشاعر عبر عن إحساسه العميق و مشاركته في الحدث و الشاعر لا يبغي أن يصف لنا احتدام المعركة بقدر ما أراد أن يؤكد على بطولة الفرس و بالتالي بطولة هذا الإيوان و من بناه، بل عظمة بني ساسان الذين يرى فيهم الشاعر و في مصيرهم مصدر عزاء له (المصدر نفسه، ص ١٦٧) تبقى هذه الأبيات من السينية نماذج مميزة في الشعر العربي من حيث وصف اللوحة أو الصورة و مشاركة الشاعر وجدانياً لتفاصيلها (المصدر نفسه، ص ١٦٧).

واضح كل الوضوح أن البحترى يرى أن العون الذي

أمد به كسرى أنوشروان أبا مرة سيف بن ذي يزن - حين ذهب إليه يستنصره على جيوش الحبشة بعد أن امتنع ملك الروم عن نصرته - هو الذي نجح العرب من غيابة الذل و الهوان، فليس كسرى أنوشروان مجرد اسم تاريخي، بل هو جزء من شخصية الشاعر التاريخية الذي كون هوية عزيزة له و لأمته. ففي الأبيات التالية التي مدح فيها الحسن بن مخلد كاتب أم المعتر بيدي إعجابه أيما إعجاب هذه الشخصية التاريخية مشيراً إلى أيادي «أنوشروان» عليهم،

قائلاً:

لله أنتم فأنتم أهل مأثرة

في المجد معروفة الأعلام و السنن

٣-٧- بهرام جور وبهرام شوبين

إن «بهرام الخامس» المشهور بـ «بهرام جور» وصل إلى الحكم سنة ٤٢١م. قيل: إنه كان بين «خسرو الساساني» و بين «بهرام جور» اختلاف حول التاج و سرير الملك، لذا جعل التاج بين أسدين و خاف «خسرو» من هيتهما و تخلّى عن المنصب، لكن أهلك «بهرام» الأسدين و وصل إلى الحكم. و وصلت «إيران» في زمن حكمه قمة مجدها و علوها. (المصدر نفسه، ص ٣٨) و «بهرام شوبين» بوصفه «بهرام السادس» عند الإيرانيين، وصل إلى الحكم في أواخر حكم «هرمز الرابع» و أعلن استقلاله. (المصدر نفسه، ص ٥٦) و يُدعى عصر هذا الملك بـ «عصر الاستقرار و السكينة» (دريايي، ١٣٨٤، ص ٩١).

إن البحري قد استدعى هذين الملكين في أبيات و قد يجمع الشاعر في القصيدة الواحدة بين أكثر من شخصية من الشخصيات الساسانية. إنه في معرض هجوه لرجل من أهل بلده يقول:

لا تَفخَرَنَّ فَلَمْ يَنْسَبْ أَبُوكَ إِلَيَّ

بِهَرَامِ جُورٍ وَ لَا بِهَرَامِ شُوبِينَ

لَا التَّوَشَّحَانَ، وَ لَا نَوَبِخْتَ طَافَ بِهِ

وَ لَا تَبَلَّجَ عَن كَسْرَى وَ سِرِينَ^٧

إِذَا عَلَتْ هَضْبَاتُ الْفَرَسِ مِنْ شَرَفٍ

رَاحَتْ شُيُوخِكَ قُعَسًا فِي التَّبَايِينِ

(ديوان البحري، ج ٤، ص ٢٣٢٠)

إن الشاعر يستهزئ بمهجوه و يحقر من شأنه لأن نسب أبيه لم يتكشف عن صلة بهؤلاء العظماء، فإذن لا داعي للمفخرة! أي أن الشاعر لا يرى مجدا أصيلاً مدعاة للفخر إلا لهؤلاء الأكاسرة الفرس.

كذلك حين يمدح يوسف بن محمد بن يوسف، يقول:

فَهَلْ لَكُمْ فِي يَدِ يَنْمَى الثَّنَاءُ بِهَا

وَ نِعْمَةَ ذِكْرُهَا بَاقٍ عَلَى الزَّمَنِ

إِنْ جِئْتُمُوهَا فَلَيْسَتْ بِكَرًّا أَنْعَمَكُمْ

وَ لَا بَدَىْ أَيْادِيكُمْ إِلَى الْيَمَنِ

أَيَّامَ جَلَىْ أَنْوَشِرَوَانَ جَدُّكُمْ

غِيَابَةَ الدُّلِّ عَن سَيْفِ بْنِ ذِي يَزَنَ

إِذْ لَا تَرَالُ لَهُ خَيْلٌ مُدَافِعَةٌ

بِالطَّعْنِ وَ الضَّرْبِ عَن صَنْعَاءَ أَوْ عَدَنَ

أَنْتُمْ بَنُو الْمُنْعَمِ الْمُجْدِي، وَ نَحْنُ بَنُو

مَنْ فَازَ مِنْكُمْ بِعُظْمِ الطَّوْلِ وَ الْمَنَنِ

(ديوان البحري، ٤ / ٢١٥٩)

ثم نراه يذكر هذين الملكين في قصيدة يمدح بها صالح بن

الفضل ذكراً جميلاً:

يَا «صَالِحَ بْنَ الْفَضْلِ» إِنَّكَ مُخْبِرِي

عَن صَالِحِ الْخُلَطَاءِ وَ الْإِخْوَانِ

و مذكري بكرم شيمتك الذي

قد كنت أعهدُه من الفتیان

وَ كَذَاكَ مَن «كَسْرَى أَبْرُويزُ» لَهُ

عَمَّ إِلَى «كَسْرَى أَنْوَشِرَوَانَ»

وَ أَبُوكَ «شَهْرَبَرَاؤُ» فَارِسُ «فَارِسِ»

وَ «الرُّومِ» يَخْلِطُ ضَرْبَهَا بِطِعَانِ

(المصدر السابق، ص ٢٣٤٤)

وفي هذه الأبيات يصف البحري الممدوح بالخصال

الكريمة التي يرثها من الملكين المذكورين. أمّا «شهر براز»

و هو أيضاً من ملوك الفرس، فهو الذي ولي الملك بعد

«أردشير الثالث» ابن أبرويز بن هرمز بن أنوشروان، لكنه

لم يطل حكمه و قُتل بعد أربعين يوماً من

ملكه. (سرمدي، ١٣٥١، ص ٦٢)

وَ أَعْنَةُ الْإِسْلَامِ فِي يَدِ حَازِمٍ

قَدْ قَادَهَا زَمَانًا وَلَمْ يَتَزَعَزَعْ

أَمْسِي يُدَبِّرُهَا بِهَدْيِ «أَسَامَةَ»،

وَبِكَيْدِ «بَهْرَامٍ» وَ نَجْدَةَ تُبَعِّعُ

(ديوان البحتری، ج ٢، ص ١٢٨٧)

استدعى البحتری في هذه الأبيات «بهرام» الملك الساساني ليشير إلى خدعه الحربية التي أصبحت مثلاً يضرب به.

٤-٧ - قباذ ويزدجرد

وصل الملك الساساني «قباذ» إلى الحكم عام ٤٩٩ م. حارب «الهياطلة» قرب ١٠ أعوام. و طردهم من أرض إيران. (سرمدي، ١٣٥١، ص ٥٠) كان ملكاً قوياً و ذا عزمٍ قويٍّ. حصل على التاج و سرير الملك مرتين. أما «يزدجرد الثاني» ابن «بهرام جور»، فوصل إلى الحكم عام ٤٣٩ م. جاهد الروم و استطاع أن يهزمهم، ثم حارب «هيتاليان» الذين كانوا قد هجموا من «جرجان» على «إيران» و استطاع أن يهزمهم أيضاً و يطردهم من ثغور «إيران». (المصدر نفسه، ص ٤١)

إنّ البحتری باطلاعه الواسع على ماضي هذين الملكين استدعاهما في شعره بوصفهما نموذجين للمجاهدة و المقاومة، منها الأبيات التي وصف بها الحسين بن الحسن بن سهل وزير المأمون:

قَدْ وَرِثَتِ الْعُلَيَاءُ عَنْ أَرْدَشِيرَ

وَ قُبَادَ وَ عَنْ أُنُوشِروَانَ

(ديوان البحتری، ٤ / ٢١٩٩)

وكذلك في الأبيات التي مدح بها الحسن بن سهل، وصفه بالعلياء و المجد الذي ورثه عن الملوك الساسانيين:

مِنْ «قُبَادَ» وَ «يَزْدَجِرْدَ» وَ «فِيرو»

زَ وَ «كَسْرِي» وَ قَبْلَهُمْ «أَرْدَشِيرُ»

(ديوان البحتری، ٢ / ٨٨٦)

٥-٧ - هرمز و فيروز

استلم «هرمز» الحكم سنة ٣٠١ م و كان ملكاً سليم النفس، سلطاناً عادلاً و رجلاً حاذقاً في السياسة. وسّع المباني الأخلاقية و بذل قصارى جهده في سعة العيش للناس واستقرار الأمن (سرمدي، ١٣٥١، ص ٢٣) أما «فيروز» فوصل إلى الحكم سنة ٤٥٩ و في أيام حكمه أصاب إيران جذب شديد، و تفادياً للآثار السلبية لهذه الظاهرة أرغم الأثرياء أن ينفقوا جزءاً من أموالهم على الفقراء، فأعفى الناس من الضرائب حتى انتهاء سنوات القحط. (المصدر نفسه، ص ٤٤)

ذكر البحتری هذين الملكين أيضاً في شعره مثلين للطاعة حيث العرب انقادت لهما، و في القصيدة التي مدح بها «عبدالله بن دينار» قال:

لَهُ سَلَفٌ مِنْ «آلِ فِيروزَ» بَرَزُوا

عَلَى «العُجْمِ» وَ انقَادَتِ لَهُمْ حَفَلَةَ الْعَرَبِ

لَهُمْ بُنَيَّ «الإيوان» مِنْ عَهْدِ «هُرْمُزَ»

وَ أَحْكَمَ طَبَعَ الْخُسْرَوَانِيَّةِ الْقَضْبِ

(ديوان البحتری، ج ١، ص ١٠٧)

وكذلك أشار إلى هرمز في القصيدة التي مدح بها

«أحمد بن عبد العزيز بن الشلمغان»:

لَمْ يُضِعْ مِنْهَجَ الصَّوَابِ ، وَ لَمْ يَرِ

مِ بَسْهَمِ فِي الرَّأْيِ غَيْرِ سَدِيدِ

فَازَ مِنْ «حَارِثِ» وَ «خُسْرُو» وَ مِنْ «هُرْ

مُزَ» بِالْمَجْدِ وَ الْفَخَارِ التَّلِيدِ

(ديوان البحتری، ج ٢، ص ٨٠٨)

ان الشاعر حين يصف ممدوحه بالخصال الحميدة كالمنهج الصواب و الرأي السديد يشبهه بمؤلاء الملوك الساسانيين الذين أصبحوا أمثالا للمجد و الفخار التليد.

رَهْطُ سَابُورَ ذِي الْجُنُودِ وَ طَلًّا
بُ مَسَاعَى سَابُورَ ذِي الْأَكْتافِ
(ديوان البحري، ج٣، ص١٣٨٨-١٣٨٧)

٦-٧- سابور

«سابور» مُعَرَّبٌ لـ «شاه پوهر» و هو اسمٌ لملكين من آل ساسان. إنَّ سابور الأول ابنَ أردشيرَ كانَ رجلاً عاقلاً وفاضلاً و بليغاً. حينما وصلَ إلى الحكم، قَسَمَ الأموالَ بينَ الناسِ وَ أَحَسَّنَ إِلَيْهِمْ وَ هَكَذَا فَضَّلَ عَلَى الْمُلُوكِ الْآخَرِينَ وَ بَنَى مُدُنًا كَثِيرَةً كـ «نيسابور»، «فيروز سابور أو أنبار» و «جندی سابور» (ابن الأثير، ١٩٦٥، ج١، ص٣٨٦). إنَّه كانَ ملقَّباً بـ «سابور الجنود» (خوارزمي، ١٣٦٢، ص١٠٢). أمَّا سابور الثاني فَهُوَ سَابُورُ بْنُ هُرْمَزِ بْنِ نَرْسِيِّ بْنِ بَهْرَامِ بْنِ هُرْمَزِ بْنِ سَابُورِ بْنِ أَرْدَشِيرِ بْنِ بَابِكِ (ابن الأثير، ١٩٦٥، ج١، ص٣٩٢)، اشتهرَ في التاريخِ بواسطة معاركه العميقة و الصعبة مع الأعراب، و هو الفاتح الحقيقي لـ عربستان الشرقية (آذرنوش، ١٣٥٤، ص٢٣٦). لُقِّبَ بِـ «هُوَيَه سُنْبَا» فَـ «هُوَيَه» بالفارسية بِمعنى الكتفِ و «سُنْبَا» بِمعنى الثاقبِ (خوارزمي، ١٣٦٢، ص١٠٢). بما أَنَّهُ تَقَبَّ في حَرْبٍ أَكْتافَ جَمْعٍ كَثِيرٍ مِنَ الْأَعْرَابِ لُقِّبَ بِهَذَا اللَّقْبِ. حكمَ لمدة واحد و عشرين عاماً و خمسة أشهر و ثمانية عشرة يوماً، و بنى المدينتي «سوس» و «سجستان» ((ابن قتيبه، ١١١٩، ص٦٦٠، ص٦٥٨).

إنَّ البحريَّ استدعى كلا السابورين في قصيدة مدحية:
هَمَّةٌ تَرْدُلُ الدَّنَايَا، وَ نَفْسٌ
شَرُفَتْ أَنْ تَهْمَّ بِالْإِشْرَافِ
وَ عَلًّا فِي الصَّبْهَيْنِ وَ دَدْنَا
أَنَّهَا فِي الرُّيُودِ وَ الْأَعْوَافِ

٧-٧- بلهيد

كانَ أَساتذَةُ الموسيقى في عهد ساسان هُم بَلَهَيْدُ (باربد)، نكيسا، بامشاد، رامتين، سرکش و... (كريستن سن، ١٣٣٦، ص٢٣٣). إنَّ «بلهيد» كانَ أُنيسَ كَسْرَى أبرويز، قيلَ أصلُهُ من «جهرم» في مدينة شيراز. لَيْسَ لَهُ نَدٌّ في فنِّ الموسيقى وِإِخْتَرَعَ نَشِيداً سُمِّيَ بِالنَّشِيدِ الْخَسْرَوَانِيِّ (برهان، ١٣٣٠، ج١، ص٢١٥).

إنَّ البحريَّ باطَّلَعَهُ الكامِلَ على أحوالِ بلاطِ الساسانيين استدعاه في قصيدته السينية بصورة لطيفة محببة كأنه آنسه:
وَ تَوَهَّمْتُ أَنَّ «كِسْرَى أَبْرُوي-

سَ» مَعاطِي، وَ «الْبَلَهَيْدُ» أُنسي
(ديوان بحري، ج٢، ص١١٥٨)

٨- نتائج بحث

تعانقت الشخصيات الساسانية في رؤيا البحري، و رأى أن خير ما يتوسل به إلى وجدان القارئ هو أن ينقل إليه تجربته بأبعادها - الإحساس بالعدل، و الدعوة إلى الحضارة و الشجاعة و المقاومة و الخصال الحميدة - من خلال هذه الشخصيات الساسانية، و ذلك بذكر أسمائهم في أبيات كثيرة سبق ذكرها. بالطبع اختار الشاعر من شخصيات التاريخ الساساني ما وافق طبيعة الأفكار و القضايا و الهموم التي أراد أن ينقلها إلى السامع و قد عبَّر

2 - [http://awu-](http://awu-dam.net/index.php?mode=books_cont&c&atId=۱&id=۱۰۰۴)

[dam.net/index.php?mode=books_cont&c&atId=۱&id=۱۰۰۴](http://awu-dam.net/index.php?mode=books_cont&c&atId=۱&id=۱۰۰۴)

۳- تروي بعض المصادر أنه كان حاجباً للمتوكل وأبوه كان وزيراً للمأمون، وللبحتري فيه أكثر من عشر قصائد. (هامش ديوان البحتري ۲۰۵۸/۴)

۴- إبراهيم بن محمد بن المدبر، كنيته أبو إسحق هو شاعر كاتب من وجوه كتاب أهل العراق ومتقدميهم وذوي الجاه والمتصرفين في كبار الأعمال (هامش ديوان البحتري ۲۱۲۴/۴)

۵- إن الحسن بن سهل تولّى وزارة المأمون بعد أخيه الفضل بن سهل وكانت أسرته من أصل فارسي.

۶- ج ۱ ص ۶۰، ۶۸، ۲۲۸، ج ۲ ص ۸۸۶، ۹۶۹، ۹۸۵، ۱۰۴۱، ۱۱۲۸، ج ۳ ص ۱۳۶۶، ۱۸۹۶، ۲۰۱۵، ج ۴ ص ۲۱۵۹، ۲۲۷۶، ۲۲۹۷ و...

۷- و «التوشحان» مدينة بفارس، و«التوبخت» رجل فارسي، و «كسرى أبرويز» و هو ابن هرمز ابن كسرى أنوشروان ملك الفرس، و سيرين هي جارية كسرى. و قيل: «إنه كان لكسرى أبرويز ثلاثة أشياء لم يكن لملك قبله و لا بعده مثلها: فرسه «شبديز» وجاريتته «سيرين» و معنّيه و عواده «بلهبد». (حاشية ديوان البحتري، ۴ / ۲۳۲۰)

المصادر و المراجع

[۱] آذر نوش، آذرتاش، راههای نفوذ فارسی در فرهنگ و زبان تازی (پیش از اسلام)، نشر جامعة طهران، ۱۳۵۴ هـ.ش.

عن المساعدة و الشجاعة من خلال استدعاء شخصية أردشير الساعد سيف بن ذي يزن و عن العدالة من خلال استدعاء شخصية كسرى أنوشروان و عن الإستقرار و الأمن في التنظيمات الحكومية من خلال استدعاء شخصية بهرام شوبين، و في استدعائهم جمعياً إلى عظمة الفرس و حضارتهم. و أبدى الشاعر في استدعائه لهؤلاء الشخصيات الساسانية إعجاباً كبيراً و تمثل أشد إعجابه لشخصية كسرى أنوشروان خاصة في قصيدته السينية الشهيرة.

استدعى البحتري هؤلاء الملوك الساسانيين لأسباب عاطفية نفسية، و اشتغل على السمات المميزة لكل من هذه الشخصيات كالعادلة و الشجاعة و الحضارة في لحظة أيقن فيها أن هذه السمات تشكل قاسماً مشتركاً بينه و بينهم.

مهما يكن من أمر فإن البحتري كان يحب آثار الفرس الباقية و ملوكهم العظماء و ذلك لحبه العظمة والشرف من أي قوم كان. و تلك الأبيات التي ذكر فيها حضارة الفرس تدل على ثقافة منشدها و اطلاعه الواسع على ماضي هذه الحضارة. إن هذه المعطيات التراثية الساسانية التي ذكرها الشاعر العباسي اكتسبت التعظيم في نفوس الأمة التي لم تكن هذه الشخصيات المستدعاة منهم و لاجنسهم من جنسهم، لكن لصق هذا التراث الأجنبي بوجدانهم لعظمة حضارته الأصيلة و الشاملة. هكذا اكتسبت تجربة الشاعر باستدعاء الشخصيات الساسانية و باكتساب هذا البعد الحضاري التاريخي، غنى و أصالة و شمولاً.

الهوامش

۱- تحدّد جوليا كريستيفا التناص بالتعريف التالي: "كلّ نص هو امتصاص و تحويل لكثير من نصوص أخرى" (كريستوا، «كلام، مكالمه، و رمان»، ص ۴۴)

- [٢] ———، البحري، دائرة المعارف بزرگ اسلامي، بابافرج تبريزي- برماوي، تحت إشراف كاظم موسى الجنودى، مؤسسة نشر وزارة الثقافة و الإرشاد الإسلاميين، المجلد ١١، الطبعة (١)، طهران، ١٣٨١.
- [٣] الآمدي، أبو القاسم الحسن بن بشر، الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، القاهرة، دار المعارف بمصر، الطبعة الثانية، ١٩٧٢
- [٤] ابن الأثير، عزّالدين، الكامل في التاريخ، دار صادر للطباعة و النشر، دار بيروت للطباعة و النشر، ١٩٦٥
- [٥] ابن قتيبة، ابو محمد عبدالله بن مسلم، حقه و قدّم له: ثروت عكاشه، الطبعة الثانية، القاهرة، ١١١٩.
- [٦] أيوب، عبد الرزاق، انعكاس الفكر السياسي على الأدب العربي في العصر العباسي، دمشق، دار طلاس للدراسات و الترجمة و النشر، الطبعة الأولى، ١٩٩٠.
- [٧] البحتري، أبوعبادة وليد بن عبيد، ديوان البحتري، عني بتحقيقه و شرحه و التعليق عليه :حسن كامل الصيرفي، ج١ و ج٢، دار المعارف، ١٩٦٣ م.
- [٨] ——— ، ديوان البحتري، عني بتحقيقه و شرحه و التعليق عليه :حسن كامل الصيرفي، ج٤، دار المعارف، ١٩٦٤.
- [٩] بيروني، أبوريحان، الآثار الباقية عن القرون الخالية، ترجمة اكبر داناسرشت(المتخلص بصيرفي)، نشر مكتبة الخيام- طهران، ١٣٢١ هـ ش.
- [١٠] تبريزي (برهان)، محمد حسين بن خلف ، برهان قاطع، بإشراف محمد معين، قدم له علي أكبر دهخدا، إبراهيم يوردادود، علي أصغر حكمت، و سعيد نفيسي، نشر و طباعة أكبر زوّار طهران، ١٣٣٠ هـ ش.
- [١١] الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان و التبيين، المجلد الأول، قدم لها و بوّها و شرحها: علي أبو ملحّم، من منشورات دار و مكتبة الهلال - بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م
- [١٢] جمعة، حسين، مرايا للإلتقاء و الإرتقاء بين الأدبين العربي و الفارسي (القواسم اللغوية و الفنية) ، دراسة من منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق، ٢٠٠٦ م.
- [١٣] حاوي، خليل، من حديث أجراه معه غسّان كنفاني، مجلّة المعرفة السورية، العدد الخامس، تموز ١٩٦٢ م.
- [١٤] خوارزمي، أبو عبدالله محمد بن احمد بن يوسف، مفاتيح العلوم، ترجمة حسين خديو جم، مركز نشر العلمي و الثقافي، الطبعة الثانية، ١٣٦٢
- [١٥] دريبي، تورج، تاريخ و ثقافة الساسانيين، ترجمة مهرداد قدرت ديزجي، نشر ققنوس، الطبعة الثانية، ١٣٨٤ هـ ش.
- [١٦] -دلاء، وفا، أثر الشعر العربي في عصر النهضة، ٢٠٠٧.
- <http://www.syriamani.com/board/lofiversio n/index.php>
- [١٧] درويش العربي، حسن، الشعراء المحدثون في العصر العباسي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٩.
- [١٨] روشنفكر، كبري و أكرم رخشنده پناه، قناع الحلاج في الشعر العربي المعاصر، مجلة العلوم الإنسانية الدولية، العدد ١٧/٣، ١٤٣١.
- [١٩] سرمدي، سيد مرتضي، سكه هاي پادشاهان ساساني، نشر إدارة الثقافة و الفنون التابعة لبلدية همدان، ١٣٥١ هـ ش.

- [٢٠] السليماني، أحمد ياسين (كلية الآداب - جامعة صنعاء) ، تقنية القناع الشعري، مجلة « غيمان» مجلة فصلية تعني بالكتابة الجديدة ، العدد الثالث، ٢٠٠٧
http://www.ghaiman.net/desat/issue_03/takniat_elkina3_elsh3ri.htm
- [٢١] شرتح، عصام، استدعاء شخصية المعري في الشعر العربي الحديث والمعاصر (بين الواقع والتجريد)، مجلة التراث العربي-مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب-دمشق، العدد ١٠٨، السنة السابعة والعشرون ، كانون الأول ٢٠٠٨ ، ذو الحجة ١٤٢٨
<http://www.awu-dam.org/trath/108/turath108-017.htm>
- [٢٢] ضيف، شوقي ، تأريخ الأدب العربي في العصر العباسي الأول، القاهرة، دار المعارف بمصر، الطبعة الثامنة، ١٩٨٢
- [٢٣] —؛ تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الثاني، القاهرة، دار المعارف بمصر، الطبعة الثانية، ١٩٧٥
- [٢٤] —، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، القاهرة، دار المعارف بمصر، الطبعة الثامنة.
- [٢٥] عباس، إحسان، بحوث و دراسات في الأدب والتاريخ، بيروت، المجلد الأول، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠
- [٢٦] العباسي، عباس، الربيع في الشعر الفارسي والشعر العربي، البرامج المسجلة، ٢٠٠٦
<http://arabic.irib.ir/Pages/programs/progcontent.asp?id=>
- [٢٧] عبدي، صلاح الدين، استدعاء التراث في أدب زكريا تامر، مجلة العلوم الإنسانية الدولية، العدد ١٦/٣، ١٤٣١.
- [٢٨] العيسى، عنترة بن شداد، ديوان عنترة، دار صادر للطباعة و النشر بيروت- لبنان، الطبعة الثانية ٢٠٠٥ م
- [٢٩] عزالدين، اسماعيل، الشعر العربي المعاصر: قضاياها و ظواهره الفنية و المعنوية، دارالكتاب العربي للطباعة و النشر، القاهرة ١٩٦٧.
- [٣٠] عشري زايد، علي، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع، القاهرة ٢٠٠٦.
- [٣١] العلوي، ابن طباطبا، عيار الشعر ، شرح و تحقيق: عباس عبد الساتر، بيروت ، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٩٨٢.
- [٣٢] الفاخوري، حنا، الجامع في تاريخ الأدب العربي (الأدب القديم)، منشورات ذوي القربي ، الطبعة الأولى، ١٣٨٠.
- [٣٣] كريستن سن، آرتور ، موسيقى و تمدن الساسانيين، تاريخ تمدن ايران، تحت إشراف مجموعة من العلماء المستشرقين، تقدم هانري ماسه و رنه كروسه، ترجمة جواد محبي، نشر مكتبة غونمبرغ، ١٣٣٦.
- [٣٤] —، ايران في عهد ساسان، ترجمة رشيد ياسمي، طهران، دنيا الكتاب، الطبعة السادسة، ١٣٦٨هـ.ش
- [٣٥] كريستوا زوليا، واژه مكالمه رمان، به سوى پسامدرن، پسا ساختارگرايي در مطالعات أدبي، ترجمة: پیام يزدانجو، ١٣٨١
- [٣٦] المواسي، فارق، وصف الصورة (الرسم أو اللوحة) في الشعر العربي القديم، ثقافة الصورة في الأدب والنقد، مؤتمر فيلادلفيا الدولي الثاني عشر،

- [٣٩] ناصيف، مصطفى، دراسة الأدب العربي، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، (دون تاريخ) الطبعة الأولى ٢٠٠٨.
- [٣٧] موسي خليل، قراءات في الشعر العربي الحديث و المعاصر، نشر اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٠.
- [٤٠] ياسين، احمد، القناع والتناص، المطبوع في جريدة الدعوة (تصدر عن حزب الدعوة الإسلامية - تنظيم العراق، العدد (٨١٣) الأحد ١٩ رجب ١٤٣٠ هـ / ١٢ تموز ٢٠٠٩.
- http://www.adawaanews.net/old_newspaper/2009/813/06Cultural.html
- <http://www.awu-dam.org>
- [٣٨] ميرزايي، فرامرز و ناهيد نصيحت، روش گفتمان كاوى شعر، مجلة الجمعية العلمية الإيرانية للغة العربية و آدابها، العدد الرابع، شتاء ١٣٨٤.

فراخوانی شخصیت‌های ساسانی در شعر بحتری

فرامرز میرزایی^۱، یعقوب محمدی فر^۲، مریم رحمتی ترکاشوند^۳

تاریخ دریافت: ۱۳۸۷/۱۰/۲۲

تاریخ پذیرش: ۱۳۸۸/۱۲/۱۵

نباید تاریخ را تنها سلسله حوادث رخ داده ای دانست که در کتاب‌هایی گردآوری شده تا خوانندگان را سرگرم کند، بلکه حوادث و شخصیت‌های تاریخی، نقش اصلی را در آفرینش شخصیت اجتماعی هر فرد دارد. شاعران توانمند با بهره‌گیری از تاریخ، شعر خود را با عاطفه و ذهنیت تاریخی خوانندگان گره زده، و با فراخوانی شخصیت‌های تاریخی که ویژگی‌های بارزی دارند، در شعر خود پلی می‌سازند تا امروز مردمان را به گذشته باشکوهشان پیوند دهند، و ذهنیت و شخصیت تاریخی آنان را بازآفرینی و توانمند کنند. بحتری شاعر دوره عباسی شیفتگی شگفت‌انگیزی به مظاهر تمدن ساسانی نشان داده است، با آنکه شاعری است با ریشه عربی و طرفدار سنت‌های شعری گذشته عرب، اما را در شعرش نام سران و بزرگان تمدن ساسانی را به وفور آورده است، تا ملت عرب را به مجد و بزرگی آنان فراخواند. وی نام «اردشیر»، «بهرام گور»، «انوشیروان»، «خسرو پرویز»، «قباد»، «هرمز» و «بزدگرد» را در شعرش ذکر کرده و آنان را مایه فخر و مباهات دانسته تا آنجا که خود را از ملت فارس می‌داند و عزت آنان را برتر می‌شمارد. وی این شخصیت‌ها را رمز تمدن ملتی می‌داند که در روزگار سخت جنگ «اریاط»، اجداد عرب شاعر را کمک کرده‌اند، بلکه بالاتر اینکه از نظر بحتری انسان باید مردمان شریف را از هر جنس و ریشه‌ای که هستند، دوست داشته باشد. به همین دلیل ملت فارس برای این شاعر عرب دوست داشتنی بوده است.

واژگان کلیدی: بحتری، فراخوانی شخصیت‌ها، تمدن ساسانی

۱. دانشیار زبان و ادبیات عربی دانشگاه بوعلی سینا mirzaeifaramarz@yahoo.com

۲. دانشیار باستان‌شناسی دانشگاه بوعلی سینا

۳. دانشجوی دکتری زبان و ادبیات عربی دانشگاه بوعلی سینا